

٨

أشهر المجاهدات

نسيبة بنت كعب خولة بنت الأزور

أم سليم بنت ملحان أم حكيم بنت الحارث





سلسلة أشهر النساء

٨

أشهر المجاهدات

إعداد

مصطفى أحمد علي

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم التسلسل ٦٠

سورية - دمشق - حلبوني - ص.ب ٢٥٢٣٧
فاكس : ٢٤٥٤٠١٣ ١١ ٩٦٣+ هاتف ٢٤٥٣٦٣٨ ١١ ٩٦٣+
algwthani@scs-net.org



بسم الله الرحمن الرحيم

الجهادُ من أعظم الأعمال، فهو ذُروة سَنام الإسلامِ، ولهُ أجرٌ كبيرٌ، قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ في الجنةِ مئة دَرجة، أعدَّهَا الله للمجاهدينَ في سبيلِ الله، مَا بينَ الدرجتينِ كمَا بينَ السماءِ والأرضِ»[البخاري].

وقَدْ كانَ للمسلماتِ الأُول دورٌ كبيرٌ في الغزواتِ والحروبِ، فكُنّ يضمدنَ الجَرحى، ويسقينَ القَوم...إلخ

ولكنَّ بَعض النّساء لَمْ تكتفِ بذلكَ، فمنهنَّ مَن رفعَتْ السيفَ في وجوهِ المشركينَ والأعداءِ؛ تُقاتل كالرّجال دَفاعًا عن الله ورسولهِ.

وهذه بعضُ الأَمثلةِ المُشرقة من هؤلاءِ النُّسوة اللاتّي جَاهدنَ في سبيلِ الله، وشاركنَ الرّجالَ في الحربِ بالسيفِ، لأنهنَّ قَدْ علمَن أن الجنَّةَ تحتَ ظلالِ السيوفِ.

** ** **

نسيبةُ بنتُ كعبٍ

قالَ النبي ﷺ: «ماَ التفتُّ يومَ أُحد يمينًا ولاشمالاً إلاوأراها تُقاتل دُوني»[ابن سعد]. وقالَ ﷺ: «لَمَقَام نَسيبة بِنْت كَعب اليومَ خَيرُ من مِقام فُلان وفُلان»[ابن سعد].

وتقولُ عن نفسِهَا: رَأيتُني وقَدْ انكشَفَ النّاسُ عَن النّبي ﷺ، فمَا بقي إلاّ في نَفر لايتمُّون عَشرة، وأَنا وابناي وزَوجي بينَ يديهِ نذبّ عنهُ (ندافعُ عنهُ)، والنّاسُ يمرونَ به منهزِمينَ، ورآني لا تِرْسَ معي، فرأى رَجلاً موليًا معهُ ترس، فقالَ ﷺ لصاحبِ الترْس: «ألق ترسكَ إلى مَن يُقاتل» فألَقي ترسه، فأخذتُه، فجَعلتُ أتَترَّسُ به عن النّبي ﷺ، وإنَّما فعل بنا الأفاعيلَ أَصحابُ الخيلِ، لو كانُوا رجالاً مثلنَا، أصبناهُمْ إن شاءَ اللهُ، فأقبلَ رَجل على فرَس، فضربَني وتترّستُ لهُ فَلمْ يصنع سيَفهُ شَيَئًا، وولَّى، فضربتُ عرقوبَ فرسِه، فوقعَ على ظهرِه، فجعل النبي ﷺ يصيح: يابن أُمّ عمارة، أُمكَ أُمكَ، فعاونِني عليه حتى أَوردته شَعُوب (الموت). فسمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «باركَ الله عليكم مِن أهل بيتٍ، رحمكُمْ الله أهلَ البيتِ» [ابن سعد].

وقالَ النبي ﷺ: «اللهمَّ اجعلهم رُفقائِي في الجنّةِ» [ابن سعد]. فقالَتْ أُمّ عمارة: مَا أُبالي مَا أصابنِي مِن الدنيَا.

ويقولُ ابنهَا عَبد الله بن زَيد: جُرحت يَومئذٍ جُرحًا، وجعلَ الدَّم لايرقأ (لايسكنُ عن الانقطاعِ)، فقالَ النبي ﷺ: «اعصُب جُرحك»: فتقبل أُمي إلي، ومعهَا عَصائب في حقوهَا، فربطتْ جُرحي، والنبي واقف ينُظر إلي، فقالَ:«انهض بُنَي فَضارب القومَ». وجعلَ النبي ﷺ يقولُ: «ومَن يُطيق ماتُطيقينَ ياأُمَّ عمَارة!» قالتْ: وأقبلَ الرّجلُ الذي ضربَ ابني، فقالَ ﷺ: «هذا ضَارب ابنك». فاعترضتُ له فضربتُ سَاقه، فبركَ فرأيتُ النبي ﷺ يبتسمُ حتى رأيتُ نواجذهُ، وقال: «استقدت (أخذتِ ثأركِ) ياأُمّ عمارة»، ثُمَّ أقبلنَا نعلهُ (تتابعُ ضَربه) بالسلاحِ حتى أتينَا على نفسه. فقال ﷺ: «الحمدُ لّله الذي ظفركِ» [ابن سعد].

وقد عُرفتْ السيدةُ نسيبةُ بنتُ كَعب الأنصارية باسم أُمّ عمَارة، وأُمّها هي الرّباب بنتُ عَبدالله بن حَبيب بن زَيد. وكانَتْ السيدةُ نسيبةُ ـ رضَي الله عنهَا ـ من النساءِ المؤمناتِ المخلصاتِ، وواحدة مِن امرأتينِ حضرتَا بيعةَ العَقبةِ الثّانية، وتقول في ذلكَ: كانَتْ الرجالُ تصفِّق على يدي رَسُول الله ﷺ ليلة العَقبة، والعبّاسُ آخذ بيدِ النبي ﷺ، فلمّا بقيتُ أنَا وأُمّ منيع أُختي؛ نادى زَوجي «غُزَية بن عمرو»: يَارسُول الله هَاتَان امرأتانِ حَضرتا مَعنا يبايعانكَ، فقالَ النبي ﷺ:«قدْ بايعتُهمَا على مَا بايعتُكم عليهِ، إنِّي لاأصافحُ النساءَ» [ابن سعد].

جَاهدتْ في الله بكلٍّ ما أوتيتْ من قُوة، ونذرتْ نفسهَا لإعلاءِ كلمةِ الله، فقاتلتْ يومَ أُحد وجُرِحت اثنتي عَشرة جراحة، ودَاوتْ جُرحًا في عنقها لمدة سَنة حتى قال عنها النبي ﷺ: «لمقامِ نسيبةَ بنت كَعب اليومَ خير مِن مقام فُلان وفُلان»[ابن سعد]، ولَمّا نادى النّبي ﷺ إلى حمراءِ الأسد شدّت عليهَا ثيابهَا، فمااستطاعَتْ من نزفِ الدّمِ، كمَا شهدتْ الحُديبية وخَيبر وحُنينًا ويوَم اليمَامة.

وهي أُخت عَبد الله بن كَعب الذي شَهد بدرًا، وأُخت أَبي ليلى عَبد الرّحمن بن كَعب ـ أَحد البكّائين ـ لأبيها وأمهَا.

تزّوجتْ من زَيد بن عَاصم النجّاري فولدتْ لهُ عبَدالله وحَبيبًا، اللذين صحبا النبيِّ ﷺ، ثُمَّ تزوجتْ بعدهُ غزية بن عَمرو من بني النجّار، فولدتْ لهُ تميمًا وخَولة. وقد شهدَ معهَا ومع ابنيهَا من زوجَها الأوّل أُحُدًا.

كانتْ نسيبةُ تحُافظُ على حضورِ الجماعةِ مع النبي ﷺ؛ كبقيةِ النساءِ آنذاك، فتسمعُ منهُ الدروسَ وتتعلّم أدبَ الإسلامِ.

ولمّا بلغهَا أن ابنَها «حَبيبًا» قتلهُ مُسيلمة الكذّاب، ومَثَّل بهِ ـ حينَ بعثهُ أَبو بكر إليهِ؛ ليدعوهُ إلى الإسلامِ ويرجعه عَن افتراءاته وكذبِه ـ عَاهدتِ الله أن لا تموتَ دونَ هذا الكذّاب؛ لهذَا جاءَتْ الصّدّيق أَبا بَكر ـ عندمَا أرادَ إرسال الجيشِ إلى

اليمَامة لمحاربةِ المرتدينَ ومُسيلمة الكذّاب ـ تَستأذنهُ في الخروجِ مع الجيشِ، فقاَل لهَا: قد عرفنَا بلاءَكِ في الحربِ، فاخرجي على اسم الله. وأوصَى خالدَ بن الوليد بهَا خيرًا، وفي المعركةِ جَاهدتْ وأبلَتْ أحسنَ البلاء، وجُرحتْ أحد عَشر جُرحًا وقُطِعَتْ يدهَا، واستشهد ابنهَا الثّاني عبَد الله، وذلكَ بعد أن شارك معها في قتل مُسيلمة عَدو الله.

ولما هدأَتْ الحربُ وصارَتْ أُمُّ عمارة إلى منزلهَا؛ جاءهاَ خالدُ بنُ الوليد يَطلب من العَرب مُداواتها بالزيتِ المغلي، فكانَ أشدّ عليهَا من القطعِ، ولهذَا كانَ أبو بَكر الصّدّيق ـ رضي الله عنهُ ـ يعودهَا ـ وهو خَليفة ـ بعدمَا عادَتْ من اليمَامة؛ لأنّهُ أكرم فيهَا إيمانهَا وصدقهَا وبطولتهَا، وعَرَفَ شهَادة نبي الله ﷺ فيهَا؛ لهَذا ظلَّ يسأل عنَها ويعودَها، حتى شُفِيَتْ بإذنِ الله. وكانَ خَالد بن الوَليد يزورهَا ويعرفُ حقَّها ويَحفظ فيهَا وصية سيّد البشرِ ﷺ.

تلكَ هي المسلمةُ المجاهدةُ المربيةُ، التي تعدُّ الأبطالَ، وتُربِّي الرّجال، التي لاتعبأُ بما يصيبهَا في الدنيا، بعدَ أَنْ دعَا لهَا النبي ﷺ برفقته في الجنّة، فكانَتْ في طليعةِ المؤمناتِ الصَادقاتِ، ورصَّعَتْ تاريخها على جبينِ التّاريخ لتكون نمَوذجًا يُحتذى.

أمُّ سُليم بنتُ مِلحانَ

بشَّرهَا النبي ﷺ بالجنّةِ، فقالَ: «دخلتُ الجنّةَ، فسمعتُ خشفةً (حَركة) بينَ يدي، فإذاَ أَنا بالغميصاءِ بنت ملحَان» [متفق عليه].

آمنتْ أُمُّ سُليم بالله، وآثرتْ الإسلامَ حين أَشرقتْ شمسه على العَالمِ، وتعلمتْ في مدرسةِ النبّوة كيفَ تعيشُ المرأة حياتَها، تصبر على ما يصيبهَا من حوادثِ الزمانِ؛ كي تنالَ مقعد الصّابرينَ في الجنّةِ، وتفُوز بمنزلةِ المؤمنينَ في الآخرةِ.

فقَدْ فقدَتْ «الرميصاءُ» ابنهَا الوحيدَ، وفَلذَة كبدهَا، وثَمرة حَياتهَا؛ حيثُ شاء الله لهُ أنْ يمَرض ويمُوت، فلَمْ تبكِ ولم تَنُحْ، بَلْ صبرتْ واحتَسبتْ الأجرَ عندَ الله، وأرادَتْ ألا تُصدم زوجهَا بخبر موت ابنه، وقرّرتْ أنْ تسوقَ إليهِ الخبرَ في لطفٍ وأناة، حتى لايكون وقْع الخبرِ سَيِّئًا.

عادَ أبُو طلحةَ، وقَدْ كانَ غَائبًا عن هذهِ الزوجةِ الحليمةِ العاقلةِ، فمَا إنَ سمعتْ صَوت زوجهَا ـ حتى استقبلتهُ بحفاوةٍ وبوجهِ بَشوش، وقدّمتْ له إفطارهُ ـ وكانَ صَائمًا ـ ثُمّ تزّينت لهُ زينة العروسِ لزوجهَا ليلة العُرس.

أقبلَ أبو طَلحة يسألهَا عن الولِد، وقَدْ تركهُ مَريضًا قبلَ أَنْ يَخرج، فتُجيب في ذَكاء ولبَاقة: هو أسكنُ من ذِي قَبل.

ثُمَّ تتحيَّن الزوجةُ الصابرةُ الفرصةَ، فتبادرهُ في ذكاءٍ وفطنةٍ بكلماتٍ يحوطهَا حنَان وحكمة قَائلة له: يا أبَا طلحةَ...أرأيتَ لو أنَّ قومًا أعارُوا أهَل بيتٍ عَارية، فطلبُوا عاريتهمُ، أيمنعونهمُ؟! قالَ: ليَس لهُمْ ذلك، إنّ العَارية مُؤداة إلى أهلهَا. فلمّا انتزعَتْ منهُ هذا الجوابَ، قالَتْ: إنّ الله أعارنَا ابننَا، ثُمَّ أخذهُ منَّا، فاحتسِبْه عنَد الله.. قالَ: إنَّا للَّه وإنّا إليهِ راجعونَ. ووجد في نفسهِ مما فعلتْ زوجتهُ.

فلمّا لاحَ الفجرُ، ذهبَ أبو طَلحة إلى النبي ﷺ يخبرهُ بما كانَ من زوجهِ أُمِّ سُليم، فيقولُ النبي ﷺ:«باركَ الله لكمَا في ليلتكمَا» [البخاري]

يقولُ أحدُ الصّحابة: إنّهُ وُلد لأُمّ سُليم وزوجهَا من تلكَ الليلةِ عَبد الله بن أَبي طلَحة فكانَ لعبدِ اللهِ عَشرة من الولدِ، كلّهم قَدْ حفظَ القرآنَ الكريمَ، وكانَ منهُمْ إسحق بن عَبدالله الفَقيه التّابعي الجَليل.

كانتْ أُمُّ سُليم مُؤمنةً مُجاهدة تشاركُ المسلمينَ في جهادهِمْ لرفع رايةِ الجهادِ والحقِّ، فكانَتْ مع أُمّ المؤمنينَ السيدةِ عائشة ـ رضي الله عنهمَا ـ يومَ أُحد، فكانتاَ تحملانِ الماءَ وتسقيانِ العَطشى. وفي يَوم حُنين جَاء أبو طَلحة يُضحك رسولَ الله ﷺ مِن أُمّ سُليم، فقالَ: يَارسولَ اللهِ هذهِ أُمُّ سُليم

معهَا خَنجَر؟ فقالَـتْ: يَا رسـولَ الله! إنْ دَنَـا منِّي مُشرك؛ بقرتُ به بِطنهُ [ابن سعد].

ولم تَكتفِ الرُّميصاء بُالمشاركةِ في ميدانِ الجهاد، بَلْ اشتهَرتْ مع ذلكَ بحبّها الشديد للعلمِ والفقهِ، فعَنْ أُمِّ سلمة ـ رضي اللهُ عنهَا ـ قالَتْ: جاءتْ أُمُّ سُليم إلى رسولِ الله ﷺ، فقالت: إنّ الله لايستحيِي مِن الحقِّ، فهل على المرأة مِن غُسل إذا احتلمَتْ؟ فقالَ ﷺ: «إذَا رأتْ الماءَ» (فغطَّتْ أُمُّ سَلمةً وجههَا حَياءً) وقالَتْ: أوَتحتلمُ المرأةُ؟ قالَ: «نَعم. تربَتْ يمينكِ فبِمَ يشبهها ولدهَا؟» [البخاري].

وقَدْ اختلفُوا في اسمهَا، فقيلَ: سَهلة، وقيلَ: رُميلة. وقيلَ: رُميثة، وقيلَ: أُنيفة، وتعرف بأُمِّ سُليم بنت ملحَان بن خَالد بن زيَد بن حَرام من الخزرجِ من بني النّجار، تربطهَا بالنبي صلِة قَرابة، ذلكَ أن بني النجّار هم أخوال أبيه، وهي أُخت حَرام بن ملحَان، أَحد القرّاء السَّبعة، وأُخت أُمّ حَرام زَوجة عبَادة بن الصَّامت.

وكانَتْ أُمُّ سُليم مُتزوّجة من «مالكِ بن النضرِ»، فولدَتْ لهُ أَنس بن مَالك، وذاتَ يومٍ جَاءتْ زوجهَا مَالك ـ وكانَتْ قَدْ أَسلمتْ، وهو لايزالُ على شِرْكهِ ـ فقالَتْ لهُ: جئتُ اليومَ بما تَكره؟ فقالَ: لا تزالينَ تجيئين بما أكره من عِند هذا

الأعرابي (يقصدُ رسولَ الله ﷺ). قالَتْ: كانَ أعَرابيًّا اصطفاهُ الله واختارهُ، وجعلهُ نبيّاً. قاَل: ما الّذي جئتِ بهِ؟ قالت: حُرِّمت الخمرُ. قالَ: هذا فراقُ بيني وبينك، فمَات مَشركًا.

ثُمّ تقدّم «أبوطَلحة» إلى أُمِّ سُليم ليخطبَها، وذلكَ قبلَ أن يُسلم، فقالَتْ لهُ: أمَّا إنِّي فيكَ لراغبَة، ومَامثلك يُرد، ولكنكَ رَجلٌ كافرٌ وأنَا امرأةٌ مسلمةٌ، فإن تُسلم؛ فذلكَ مهرِي، لا أسألكَ غيرهُ. فأسلمَ أبو طَلحة وتزوجَها.

وفي رواية أنَّها قالَتْ: يا أباطَلحة ألستَ تعلم أن إلهكَ الذي تعبدهُ خَشبة نبتتْ من الأرضِ نَجرَها حبشي بن فُلان؟ قالَ: بَلى. قالَتْ: أفلا تَستَحيي أنْ تعبدهَا؟ لئن أسلمتَ لَمْ أُرِدْ منكَ مِن الصداق غيَر الإسلام.فأسلمَ. قالَتْ: ياأنسُ! زوِّج أباطلحةَ. فكان ابنهَا وليَّها في عقدهَا. قال ثابتُ: فما سمعَنا بمهرٍ قَط كان أكرم مِن مهر أُمِّ سُليم: الإسْلاَم.

وكانَ النبي ﷺ يزورُ أُمَّ سُليم ويتفقّدُ حالهَا، فسُئلَ عَن ذلكَ، فقالَ: «إنِّي أرحمهَا. قُتل أخوهَا معِي» [الطبراني]. وأخوها هو «حَرام بن ملحَان» قُتل في بئر مَعونة شَهيداً.

تلكَ هي أُمُّ سُليم، عاشَتْ حياتهَا تُناصرُ الإسلامَ، وتشاركُ المسلمينَ في أعمالهِمْ، وظلّت تُكافح حتى أتاها اليقينُ، فماتَتْ، ودُفنتْ بالمدينةِ المنورةِ، فرضي الله عنهَا.

خولةُ بنتُ الأزور

سبقَ الفارسُ الملثَّمُ جيشَ المسلمينَ، وفي شجاعةٍ نَادرة اخترقَ صُفوفَ الرّوم، وأعملَ السيفَ فيهم، فأربكَ الجنودَ، وزعزعَ الصفوفَ، وتطايرتْ الرؤوسُ، وسقطَتْ الجثثُ على الأرضِ، وتناثرتْ الأشلاءُ هُنا وهُناك، وتعالَتِ الصَّرَخاتُ من الأعداءِ والتكبيراتُ من جيشِ المسلمينَ.

ليتَ شعري مَن هَذا الفَارس؟ وايمُ الله، إنّهُ لفارسٌ شجاعٌ...كلماتٌ قالهَا خالدُ بنُ الوليد قَائد جيش المسلمين في معركةِ أجنادين عندَما لمحَ الفارسَ وهو يطيحُ بسيفهِ هَامات الأعداء، بينمَا ظنَّ بعضُ المسلمينَ أنَّ هذا الفَارس لايكونُ إلاخَالدًا القائد الشّجاع، لكنَّ خَالدًا قَدْ قربَ منهُمْ، فسألوهُ في تعجّب: مَن هَذا الفارسُ الهُمام؟ فلا يجبُهْم، فتزدادُ حيرة المسلمينَ وخَوفهم على هَذا الفارسِ ولكنْ! مَالبثَ أن اقتربَ مِن جيشِ المسلمينَ وعليهِ آثار الدّماء بعدَ أن قتلَ كثيرًا من الأعداءِ، وجَعل الرّعب يَدُبُّ في صُفوفهِمْ، فصاحَ خالدٌ والمسلمونَ: للّه درُّك من فارسٍ بذلَ نفسهُ في سبيلِ الله! اكشفْ لنَا عن لثامك.

لكنّ الفارسَ لم يستجبْ لطلبهِمْ، وانزوى بعيدًا عن المسلمينَ، فذهبَ إليه خالدٌ وخَاطبه قَائلاً: ويحكَ لقد

شَغلتَ قلوبَ النّاس وقلبي لفعلكَ، مَن أنتَ؟

فأجَابُه: إنّني ياأميُر لم أُعرِضْ عنكَ إلاحَياءً منكَ لأنَّك أميرٌ جليلٌ وأنَا من ذواتِ الخدُور وبناتِ الستورِ.

فلمّا علمَ خَالدُ أنَّها امرأة سَألها ـ وقد تعجَّب من صنيعهَا ـ : ومَاقصتكِ؟ فقالتْ المرأةُ: علمتُ أن أخي ضِرارًا قَدْ وقعَ أسيرًا في أيَدي الأعداءِ، فَركبتُ وفعلتُ مافعلتُ.قال خالدٌ: سَوف نقاتلهُمْ جَميعًا ونرجُو الله أن نَصل إلى أخيكِ فنفكهُ من الأسرِ.

واشتبكَ جَيشُ المسلمينَ مع الأعداءِ وقَتلُوا منهُمْ عَددًا كبَيرًا، وكانَ النصرُ للمسلمينَ، وسَارتْ تلكَ الفارسةُ تبحثُ عَن أخيهَا، وتسألُ المسلمينَ عنهُ، فلم تجدْ مايشفي صدرهاَ ويُريح قلبهَا، فجلسَتْ تبكِي على أخيها وتقولُ: «يابن أُمّي ليتَ شِعْرِي... في أيّة بَيْدَاء طَرَحُوكَ، أم بأي سِنَانٍ طَعنوكَ، أم بالْحُسام قتلوكَ. ياأخي لكَ الفداءُ، لو أنّي أراكَ أنقذكَ من أيدي الأعداء، ليتَ شعْرِي أترى أني لا أراكَ بعدَها أبَدًا؟ لقَدْ تركتَ يابن أُمّي في قلب أُختك جَمرة لايخمد لهيبهَا، ليتَ شِعري، لقَدْ لحقتَ بأبيكَ المقتولِ بين يدَي النبي ﷺ، فعليكَ مني السّلام إلى يومِ اللقاءِ. فمَا إن سمعَها الجيشُ حتى بكُوا وبكَى خالدُ بنُ الوليدِ.

ومَا هي إلاّلحَظات حتى أتَى الخبرُ بالبشَرى بأنّ أخاهَا ما زالَ على قيدِ الحياةِ، وأنَّ جيشَ الأعداءِ قَدْ أرسلهُ إلى ملكِ الرّوم مُكبَّلاً بالأغلالِ، فأرسلَ «خالدٌ» «رافعَ بن عُميرة» في مئة من جيشِ المسلمينَ ليلحقَ بالأعداءِ ويفكّ أسْرَ أخيها.

فلمّا علمَتْ خَولة ـ رضَي الله عنهَا ـ بخروجِ «رَافع بن عُميرة» أسرعتْ إلى خَالد تستأذنهُ للخروج مع المسلمينَ لفكِّ أسر أخيهَا، فذهبتْ معهُمْ حيثُ أَعدُّوا كمينًا في الطريقِ، ومَا إنْ مرَّ الأعداءُ بالأسير حتى هجمُوا عليهم هَجمة رَجل واحدٍ، ومَا لبثُوا أن قضُوا عليهِمْ وفكُّوا أسَر أخيهَا وأخذُوا أسلحةَ العدوِّ.

كانَتْ خَولةُ بنتُ الأَزْوَر ـ رضَي الله عنهَا ـ صَحابية جَليلة، أَبْلتْ بلاءً حسنًا في فتوحِ الشّام ومصرَ، وكانَتْ مِن أشجعِ نساءِ عصرهَا، واشتهرْت بالفُروسّية والفداءِ.

وتمرُّ الأيامُ، وتظهرُ بَسالةُ تلكَ المرأةِ، ومدَي دفاعهَا عَن الإسلامِ، ففِي مَوقعة «صجُورا» وقعَتْ هي ونسوةٌ معهَا في أسر جيشِ الرّوم. ولكنهَّا أبتْ أنْ تكون عبَدة في جيشِ الرومِ، فأخذَتْ تحثُّ أخَواتها على الفرارِ من الأسرِ، فقامَتْ فيهنَّ قائلةً: يابناتَ حِمْير وبقيةَ تُبع، أَترضينَ لأنفسكنَّ أن يكونَ أولادكنَّ عبيدًا لأهلِ الرومِ، فأينَ شجَاعتكنَّ وبَراعتكنَّ

التي تتحدثُ بَها عنكنَّ أحياءُ العربِ؟ وإنِّي أرى القتَل عليكنَّ أهون ممّا نَزل بكُنَّ من خدمةِ الرومِ.

فألهَبْت بكلامها حَماس النُّسوة، فأبَيْن إلا القتِالَ والخُروج مِن هذا الذُّلِّ والهوانِ.

وقالَتْ لهنَّ: خُذوا أعمدةَ الخيامِ، واجعلُوها أسلحة لكُنَّ، وكنَّ في حلقةٍ مُتشابكات الأَيدي مترابطات، لعلّ الله ينصرناَ عليهمْ، فنستريحُ من معرَّة العربِ.

ثُمّ هَجمتْ وهجمَ معها النُّسوة على الأعداءِ وقاتلنَ قتالَ الأبطالِ حتى استطعنَ الخروجَ من مُعسكر الأعَداء وتخلصنَ من الأسرِ.

ولم تنته مَعاركُ خَوْلة في بلادِ الشّام، فقَدْ أُسِرَ أخوهَا ضِرار مرَّة أُخرى في معركةِ مَرج رَاهط، فاقتحمَتْ الصفوفَ من أجله.

وقَدْ اشتركَتْ خَولة في معركةِ أَنطاكية حتى تمَّ النصرُ فيهَا للمسلمينَ، كمَا شاركتْ ـ أيضًا ـ في فتحِ مصرَ، وغدتْ مَفخرة نساءِ العربِ ورجالِهم.

وظلَّتْ السيدةُ خَوْلةُ ـ رضَي الله عنهَا ـ على إيمانهَا وحبّها للفداءِ والتضحيةِ، ودفاعهَا عن دينِ الله، ورفْع لواءِ الإسلامِ حتى تُوُفِّيتْ في آخِرِ خلافةِ عثْمان بن عفّان رضي الله عنهُ.

أمُّ حكيمٍ بنتُ الحارثِ

كانَتْ يومَ أُحد حَربًا على الإسلامِ والمسلمينَ، وكانَتْ يومَ اليرمُوك حَربًا على الكُفر والكافرينَ.. وضربَتْ المثلَ العظيمَ للمرأةِ ذات الوفاءِ النّادر للزوجِ، والمعرفَة الصّحيحة بملكاته، فأَحبّتْ لُه الخيَر، وسَعتْ بينهُ وبينَ النبي ﷺ تستأمنُ لهُ. فقَدْ أسلمَتْ أُمّ حكَيم ـ رضَي الله عنهَا ـ يومَ فتح مكّة ولم يُسلم زوجهَا «عِكرمة بن أبَي جَهل» وخرجَ من مكّة، وذهبَ قاصِدًا اليمنَ بعد أن أهدر النبي ﷺ دمهُ. فلمَّا علمَتْ أُمَّ حكَيم بذلكَ حزنَتْ، وراحَتْ تُفكّر كيفَ تنقذُ زوجهَا، فقامَتْ تغدُو إلى النبي ﷺ وتطلبُ منهُ الأمانَ لزوجهَا، فرقَّ النبي ﷺ لحالهَا، وأذن لهَا أن تدركهُ تبشره بالعفوِ، فخرجَتْ في أثرهِ وأدركتهُ عندَ سَاحلِ من سَواحل تُهامة وقَدْ هَمَّ بركوبِ البحرِ، فدمعَتْ عيناهَا وأخذَتْ تقولُ لهُ: يا ابنَ العمِّ جئتكَ من عندِ أوصل النّاس وخيرِ النّاس، لاتهلك نفسكَ وقد استأمنتُ لكَ النّبي ﷺ فأمّنكَ. فقالَ لها عكرمةُ: أنتِ فعلتِ ذلكَ؟ قالَتْ: نَعم، فقَدْ كلمتُه فأمَّـنكَ. فرجعَ معهَا «عكرمةُ»، وأتيا النّبي ﷺ، فلمّا انتهيَا إلى بابِ المسجدِ أسرعتْ الخُطا ودخلَتْ، واستأذنَتْ النّبي ﷺ فأذنَ، فتقدّم

«عكرمةُ» فبايعَ النّبي ﷺ على الإسلامِ وعلى الجهادِ. وبذلكَ كانَتْ أُمّ حكيم ـ رضَي الله عنهَا ـ سببًا في إسلام زِوجهَا، فحسنَ إسلامه، وجَاهد في الله حتى رزقهُ الله الشهادةَ في موقعةِ أجنادين.

وبعدَ وفاةِ عكرمَة ـ رضي اللهُ عنهُ ـ تزوّجَتْ السيدةُ أُمّ حكَيم ـ رضَي الله عنهَا ـ الصحابي الجليل خَالد بن سَعيد بن العَاص ـ رضي الله عنهُ ـ وقبلَ أن يَدخلَ بها نَادى مُنادي الجهاد أَنْ استعدُّوا لقتالِ الرّوم، ولكنَّ فَراسة خَالد حَدّثتهُ أَنَّهُ مقتولُ غَدًا، فعرضَ على امرأتهِ أَنْ يدخلَ بها فقالَتْ: لَوْ تأخرتَ حتى يهزمَ الله هذه الجُموع. فقالَ: إن نفسِي تحدُثني أنِّي أقتل. قالتْ: فدونكَ. فأعرسَ بهَا عندَ القنطرةِ التي عُرفتْ بعد ذلكَ بقنطرةِ أُمّ حكَيم، ثُمّ أَصبح فأقامَ المسلمونَ وليمةً كبيرةً بمناسبةِ هذا العُرس، فمَا فرغُوا من الطعام حتى وافتهُمْ الرومُ، ووقعَ القتالُ فاستشهدَ خَالد أمامَ عينيهَا، فشدَّتْ أُمّ حكيم ـ رضَي الله عنهَا ـ عليهَا ثيابهَا وخرجَتْ إلى القتالِ؛ انتصارًا للدينِ وانتقامًا لمقتلِ زوجيهَا عكرمة وخالد وقتلى المسلمين، واستطاعت أن تقتل بعمود الخيمة التي بنى بها خالد فيها سبعةً من الروم، ثم واصلت كفاحها حتى ماتت.

سلسلة أشهر النساء

١ - أمهات المؤمنين
٢ - أمهات النبي ﷺ
٣ - بنات النبي ﷺ
٤ - أشهر النساء
٥ - أشهر الشهيدات
٦ - أشهر الزاهدات
٧ - أشهر الخطيبات
٨ - أشهر المجاهدات
٩ - أشهر الفقيهات
١٠- أشهر الشاعرات

٨١٠٠٥٧